المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة

المجلد التاسع، العدد الثالث، 119:106
أيلول (2024)

بحث رقم 2

المنهج الإصلاحي الحركي في سياق تجديد تفسير القرآن عند سيد قطب

The Dynamic Reformist Approach in the Context of Renewing the Interpretation of the Qur'an According to Sayyid Qutb

عبده محسن محمّد جابر

Abdo Mohsen Mohammed Jaber

جامعة اسطنبول- تركيا

Istanbul University, Türkiye

abdomohsen432@gmail.com

Received استلام البحث	Revised مراجعة البحث	Accepted قبول البحث
2024 /7/19	2024 /8/25	2024/9/18

DOI: https://doi.org/10.31559/SIS2024.9.3.2

This file is licensed under a *Creative Commons Attribution 4.0 International*

رفـــاد REFAAD
www.refaad.com

المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة
International Journal of Specialized Islamic Studies (SIS)
Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/4
E-ISSN 2617-6246 | P-ISSN 2617-6238

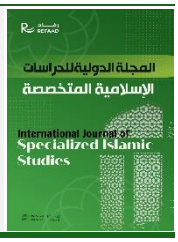

المنهج الإصلاحي الحركي في سياق تجديد تفسير القرآن عند سيد قطب

The Dynamic Reformist Approach in the Context of Renewing the Interpretation of the Qur'an According to Sayyid Qutb

الملخص:

الأهداف: يهدف البحث إلى دراسة شخصية علمية فريدة ضربت لها في التجديد سهمًا؛ والمتمثّلة في: "سيد قطب" وما أحدثه من نقلة نوعية في اتّجاهات التّفسير المعاصرة، كما يهدف إلى إبراز سياق التّجديد في تفسيره من خلال استحداثه للمنهج الإصلاحي الحركي، وبيان الإضافة العلمية الّتي أثرى بها مكتبة التّفسير في العالم.

المنهجية: عالجت الدّراسة موضوع البحث وفق المنهج: الاستقرائي، الوصفي، التّحليلي، من خلال عرض ترجمة لسيد قطب ولمؤلّفه، وبيان سياق التّجديد في منهجه الإصلاح الحركي من خلال تفسيره في ظلال القرآن.

الخلاصة: خلصت الدّراسة إلى مجموعة من النتائج، ومن أهمّها: أثرت حياة وتجارب سيد قطب في إنتاجه العلمي وفي أسلوب تأليفه. تميز منهج سيد قطب في التّفسير بأنّه عاشه وكان وليد تجربته وخلاصة خبراته في الحياة. تفرد سياق التّجديد في التفسير في ظلال القرآن بكونه منهج إصلاحي حركي.

الكلمات المفتاحية: *سيد قطب؛ في ظلال القرآن؛ منهج؛ سياق التّجديد؛ الإصلاح الحركي.*

Abstract:

Objectives: The research aims to study the unique scientific personality that was distinguished by its scientific style. He is represented by: "Sayyid Qutb" and the qualitative shift he brought about in contemporary interpretation trends. It also aims to highlight the context of renewal in its interpretation by presenting the dynamic reformist approach and explaining the scientific addition with which it has enriched the library of interpretation in the world.

Methodology: The study addressed the research topic according to the inductive, descriptive and analytical approach by presenting a translation of Sayyid Qutb and his writings and explaining the context of innovation in his approach to dynamic reform through his interpretation of the shades of the Qur'an.

Conclusion: The study concluded with a set of results, the most important of which are: The life and experiences of Sayyid Qutb influenced his scientific production and the style of his writing. Sayyid Qutb's approach to interpretation was distinguished by the fact that he lived it and it was the result of his experience and the summary of his experiences in life, the context of renewal in interpretation in the shadows of the Qur'an is unique in that it is a dynamic reform approach.

Keywords*: Sayyid Qutb; in the shadows of the Qur'an; the curriculum; the context of renewal; movement reform.*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبدالله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيعتبر علم التفسير من أشرف العلوم الإسلامية وأهمها لأنه يساعد الإنسان على فهم كلام الله تعالى وبيان أحكامه ومعانيه. وقد مر هذا العلم بعدة مراحل، تبدأ بمرحلة المشافهة والتلقين، ثم التأصيل والتدوين، وتنتهي بمرحلة التجديد. ولا يزال الباحثون يجدون فيها مجالات واسعة للريادة. ولا شك أن تفسير "في ظلال القرآن" لسيد قطب -رحمه الله- قد أحدث في ساحة الفكر الحديث الّذي نعيشه صدىً واسعًا، وكان له أثر كبير في أوساط المثقفين على اختلاف مشاربهم؛ وقد شهد المنصفون من الدّارسين والباحثين بأن منهجه في تفسيره قد نجح في إحداث تلك التغييرات التربوية والفكرية الواسعة في العالم الإسلامي؛ بما امتاز به من الأصالة في البحث، والجدية في طرحه للمفاهيم، والصدق في تناوله للمستجدات التربوية الفكرية من زاوية رؤية القرآن الكريم؛ والأصالة التي يمثلها؛ اعتماده على المصادر الأساسية لدى المفسرين، وأولى هذه المصادر كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وتجرده أثناء البحث من الانقياد لأي مقررات سابقة. حيث كان الهدف الأساسي في تفسيره الإصلاح ومصالحة الأمّة مع كتابها وردها للمنبع الأوّل الّذي تستقي منه أحكام الشّريعة الإسلامية.

مشكلة الدراسة:

ومما سبق، فإنّ مشكلة الدّراسة تكمن في الإجابة عن إشكالية: ما المقصود بالمنهج الإصلاحي الحركي عند سيد قطب في تفسيره؟ ويتم ذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- من هو سيد قطب؟ وما تفسيره؟
- ما أسس التّجديد في التّفسير عند سيد قطب؟
- فيم يتمثل منهج الإصلاح الحركي في تفسير سيد قطب؟

أهمية الدراسة:

وتكتسب هذه الدّراسة أهميتها من مجموعة من النقاط، يمكن إيجازها فيما يلي:

- شخصية سيد قطب المتفرّدة بفكره وأسلوبه خاصة في التّفسير.
- منهج سيد قطب في التّفسير الّذي كان وليد معطيات عصره وتجربته الشّخصية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- إبراز أحد جوانب التّجديد في تفسير سيد قطب وبالضّبط المنهج الحركي الإصلاحي. الّذي يدور حول الإصلاح والتطبيق العملي الواقعي له ..
- إعطاء نموذج معاصر للتّجديد في التّفسير وفق نظرة تجديدية خصّها السّيد قطب بمصطلح الحركية الّتي تهدف إلى تقريب العلاقة بين القرآن والمسلم وفق منهج إصلاحي واقعي عاشه.

الدّراسات السّابقة:

أمّا الدّراسات السّابقة عن سيد قطب وتفسيره في ظلال القرآن فهي كثيرة متعدّدة ومتنوعة، كون الشّخصية والمؤلّف أشهر من نار على علم وكونها قريبة عهد، لا يتسع المجال لعرضها وسردها كلّها. لكن هذه الدّراسة تتوافق وتشابه الدّراسات السّابقة في التّعريف بسيد قطب وكتابه في ظلال القرآن، وتختلف عن الدّراسات والأبحاث السّابقة الّتي قد تم استخدام بعضها في هذا البحث، ومن الدّراسات الّتي ركّزت على منهجه الحركي كتاب لصلاح عبد الفتاح الخالدي وأصله أطروحة دكتوراة بعنوان: المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار عمار عمان - الأردن، ط2، (1421هـ – 2000م)

وأيضًا من الدّراسات الّتي عنيت بمنهج التّفسير عن سيد قطب أطروحة دكتوراه لأسماء بنت عمر حسن فدعق بعنوان: منهج سيد قطب في ظلال القرآن، https://archive.org/details/1_20200424_20200424_1116/1/، ومن الأبحاث المنشورة: الدِّلالة اللّغويّة عند سيد قطب لسعيد إبراهيم، جامعة البصرة كلية التربية البدنيّة وعلوم الرّياضة، DOI: https://doi.org/10.31185/bsj.Vol3.Iss3.57، وهو مقال عن الدّلالة الصّوتية الّتي اعتمدها سيد قطب في تفسيره، وبحث: نظرة سيد قطب للمنهج القرآني في بناء الإنسان والحضارة من خلال تفسير الظلال: دراسة موضوعية لمحمد أمين حسيني بمجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية المعهد الماليزي للعلوم والتنمية، https://jsfsr.misd.tech/070404، وهو مقال عن جانب التفسير الموضوعي في تفسير سيد قطب خصه بموضوه منهج القرآن في

بناء الإنسان والحضارة، وما ميز هذه الدّراسة عمّا سبق ذكره أنّها بينت المقصد والغاية من المنهج الحركي وهو الإصلاح وبذلك يتركب عنه المنهج الإصلاحي الحركي، وهذا ما يستفاد من جانب تجديد تفسير سيد قطب.

المنهج المتّبع في الدراسة:

والمنهج المتّبع الّذي سيتم معالجة هذه الدّراسة وفقه، هو منهج إستقرائي وصفي تحليلي، فمنهج الاستقراء كان بتتبع المعلومات، ثم منهج وصفي من خلال التّطرق للسّيد قطب من جانب شخصيته العلمية وعرض دراسة مختصرة لتفسيره في ظلال القرآن، ثم منهج لتحليلي استنباطي مفهوم منهج الإصلاح الحركي عنده وبيان الأساس الّذي يقوم عليه.

خطة الدراسة:

أمّا خطة الدّراسة فكانت على النّحو التّالي:

المبحث الأول: ترجمة لسيد قطب وكتابه في ظلال القرآن

المطلب الأول: التّعريف بسيّد قطب

الفرع الأول: حياته

الفرع الثاني: مؤلّفاته

المطلب الثاني: التّعريف بتفسير في ظلال القرآن

الفرع الأول: التّخريج الشّكلي للكتاب وطبعاته

الفرع الثاني: التّخريج المضموني للكتاب

المبحث الثاني: المنهج الإصلاحي الحركي في تفسير الظّلال وسياق التّجديد فيه

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح الحركي كمنهج في تفسير سيد قطب

الفرع الأول: ضبط المصطلحات

الفرع الثاني: مميزات فكر سيد قطب ومنهجه الإصلاحي

المطلب الثاني: سياق التّجديد في تفسير الظّلال من خلال المنهج الإصلاحي الحركي

الفرع الأول: سياق التّجديد في منهج سيد قطب التّفسيري

الفرع الثاني: المنهج الإصلاحي الحركي في تفسير سيد قطب

المبحث الأول: ترجمة لسيد قطب وكتابه في ظلال القرآن

يتناول في هذا المبحث مطلبين، يتطرّقان إلى التّعريف بسيّد قطب، وبمؤلفه في ظلال القرآن الّذي هو موضوع الدّراسة.

المطلب الأول: التّعريف بسيّد قطب

نركّز في هذا المطلب ترجم مختصرة لسيد قطب وعرض بعض مؤلّفاته في الفرعين التّاليين

الفرع الأول: حياته

يمكن اختصار سيرته في الأسطر التّالية: هو سيد قطب إبراهيم حسين الشّاذلي، ولد في إحدى قرى محافظة أسيوط يوم 1906/10/09م، حيث عاش طفولته وصباه بها، ثم أقام عند خاله وعن طريقته تعرّف حزب الوفد، وعلى عبّاس محمود العقاد، تحصّل على شهادة البكالوريوس في الآداب عام 1933م من كلّية دار العلوم، عمل مدرسًا في مدارس وزارة المعارف ثمّ انتقل إليها وشغل عدّة وظائف فيها، أرسلته بعدها أمريكا في بعثة تربوية ميدانية للاطلاع على مناهج التّربية والتّعليم هناك، وبعد عودته منها واختلافه مع كبار موظفي وزارة المعارف قدم استقالته عقب قيام الثّورة بشهور، بعد خدمة قاربت تسعة عشر عامًا. انتظم في شبابه مع حزب الوفد، وبقي فيه حتّى 1942م، وكتب في صحف ومجلّات الحزب العديدة من المقالات والأبحاث والقصائد، وبقي بعد ذلك أزيد من عشر سنوات بدون انتماء لأي حزب أو جماعة أو تنظيم، إلى غاية 1953م حيث وجد ضالّته في جماعة الإخوان المسلمين وأمضى بقية عمره معها، حيث بدأ نضاله الثّوري، وأشرف على التّنظيم الحركي الجديد للإخوان المسلمين، وبسبب هذا حكم عليه بالإعدام، ورغم التّوسط له نفذ عليه بزوغ فجر يوم الإثنين 1966/08/29م. ينظر (الخالدي، 1414هـ - 1994م، صفحة 16، 17) وللتّوسع ينظر (حمودة، شعبان 1429هـ، الصفحات 6 -10) وينظر (حمودة ع.، يوليو 1996م، الصفحات 19 - 207)

وعن بداية ونهاية حياة سيّد قطب قال عادل حمودة (حمودة ع.، يوليو 1996م، صفحة 13): "من يعرف بداية سيد قطب، كان من عاشر المستحيلات أن يعرف، أو يتوقّع، أو يتخيّل، أو يتصوّر، أو حتّى يتنبّأ بما ستكون عليه خاتمته! بدأ معلّمًا وانتهى زعيمًا، بدأ

ناقدًا للأدب، وانتهى ناقمًا على الثّورة. بدأ شاعرًا، رقيق الحس، مرهف الانفعال، ينظر إلى الحياة نظرة فنّان، وانتهى غاضبًا، ساخطًا متمرّدًا، محرّضًا على الكفاح المسلّح ضد نظام حكم جمال عبد النّاصر، بدأ ملحدًا، لا يثق في موهبة الدّين على تغيير البشر، وانتهى متطرّفًا، بعد أن جزم بتكفير المجتمع وجاهليته. بدأ منفتحًا على الدّنيا، متحمّسًا للمعارك الفكرية، وانتهى مُعَلَّقًا في إحدى مشانق السّتينيات، حاملًا منذ ذلك الوقت وحتّى الآن –لقب الشّهيد؛ بداية لا علاقة لها بالنّهاية، أو بداية لا يمكن أن يتصوّر أحد -ولا هو- أنّها يمكن أن تؤدي إلى هذه النّهاية! فهل –يا ترى- كان سيبدأ، لو قدّر له أن يعرف ما سينتهي إليه؟!"

وقد قال عنه حسين بن حمودة (حمودة ح.، شعبان 1429هـ، صفحة 12à): "لقد عاش سيد قطب رحمه الله حُرًّا في زمن العبودية للتّيارات والأفكار البشرية، ومات حُرًّا في زمن الاستسلام للطّواغيت الجاثية على رقاب الأمّة الإسلامية." عاش حرًا ولما استشهد خلّف وراءه موروثًا علميًا متنوعة المجالات يعيش فيه ويتواصل من خلاله مع القراء وفي الفرع الموالي ذكر لأهم مؤلّفاته.

الفرع الثاني: مؤلّفاته

قسّم صلاح عبد الفتّاح الخالدي تراث سيد قطب الأدبي والفكري (الخالدي، 1414هـ - 1994م، الصفحات 515 - 572) إلى ثلاثة أقسام من أجل تسهيل تتبع تطور مراحل سيد قطب في التّأليف، وهذا يساعد كل من يريد التّوسع في دراسة مسيرته العلمية والفكرية، وقد قام الخالدي ببحث تفصيلي لكل المراحل وتطرق لجميع الجوانب وأحاط بمختلف المجالات. ينظر (الخالدي، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ -2000م، الصفحات 303 - 584) وينظر (حمودة ح.، شعبان 1429هـ، الصفحات 11 - 18). فكانت أقسام التّراث الأدبي والفكري لسيد قطب على النّحو التّالي:

القسم الأوّل مقالاته في الصّحف والمجلاّت، وقد تطرّق إليها صلاح عبد الفتاح الخالدي فقال: "وكانت مقالاته في تلك الصّحف والمجلّات منوّعة، منها المقالات الأدبية والنّقدية، والمقالات الاجتماعية، والفنية، والإصلاحية، والسّياسية، والإسلامية، وغير ذلك. وهذه المقالات تحتاج إلى من يجمعها ويصنّفها على أساس موضوعاتها، وينسق بينها، وينشرها على الأدباء والمثقفين..." (الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، 1414هـ - 1994م، صفحة 517) وينظر (الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، 1414هـ - 1994م، الصفحات 517 - 519).

القسم الثّاني كتبه المطبوعة: عدّدها الخالدي في ستة وعشرون كتابًا حسب ترتيب طبعات صدورها وهي: 1مهمّة الشّاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر. 2 الشّاطئ المجهول. 3 نقد كتاب مستقبل الثّقافة في مصر. 4 التّصوير الفنّي في القرآن الكريم. 5 الأطياف الأربعة. 6 الطّفل من القرية. 7 المدينة المسحورة. 8 كتب وشخصيات. 9 أشواك. 10 مشاهد القيامة في القرآن. 11 روضة الطّفل. 12 القصص الدّيني للأطفال. 13 الجديد في اللّغة العربية. 14 الجديد في المحفوظات. 15 النّقد الأدبي أصوله ومنهجه. 16 العدالة الاجتماعية في الإسلام. 17 معركة الإسلام الرّأسمالية. 18 السّلام العالمي والإسلام. 19 في ظلال القرآن. 20 دراسات إسلامية. 21 هذا الدّين. 22 المستقبل لهذا الدّين. 23 خصائص التّصور الإسلامي. 24 الإسلام ومشكلات الحضارة. 25 معالم في الطّريق. 26 مقوّمات التّصور الإسلامي. (الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، 1414هـ - 1994م، الصفحات 521 - 561).

القسم الثّالث بحوث له لم تنشر، منها: دراسة عن شوقي، المراهقة أخطارها وعلاجها، المرأة لغز بسيط، المرأة في قصص توفيق الحكيم، أصداء الزّمان، قافلة الرّقيق، حلم الفجر، القطط الضّالة، المذاهب الفنية المعاصرة، القصّة في الأدب العربي، شعراء شباب، القصّة بين التّوراة والقرآن، النّماذج الإنسانية في القرآن، المنطق الوجداني في القرآن، لحظات مع الخالدين، أمريكا الّتي رأيت. (الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، 1414هـ - 1994م، الصفحات 575 - 580).

ويلاحظ أنّه بعد وفاته "كتب الله لفكره الإسلّامي الحركّي القبول بعد استشهاده، واحتل سيّد قطب مكانة عالية سامية عند العلماء والدّعاة والعاملين للإسلام، ترك سيّد قطب تسعة وعشرين كتابًا في الأدب والنّقد والفكر الإسلامي، على رأسها تفسيره في ظلال القرآن الّذي اعتبر به مفسّرًا مجدّدًا ورائدًا للفكر الإسلامي الأصيل." (الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، 1414هـ - 1994م، صفحة 17)، حيث كان توجهه الأوّل إلى الألوان الأدبية والنّقدية وداوم على هذا حوالي عشرين عامًا، ثمّ توجّه إلى الإسلام والدّعوة، فأبدع في عالم الفكر الإسلامي، سواء في التّفسير والدّعوة أو الحركة والتّربية، أو الجهاد وامتد نتاجه الفكريُّ الإسلاميُّ حوالي عشرين عامًا. (الخالدي، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 305) ومن أهم ما ألّف وانتشر وعرف به تفسيره في ظلال القرآن حيث به (الخالدي، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 437)"تبوّأ به سيد قطب مركز الرّيادة في عالم التّفسير، وأسّس به مدرسة تفسيرية أصيلة، هي: مدرسة التّفسير الحركي الدّعوي التّربوي."

المطلب الثاني: التّعريف بتفسير في ظلال القرآن

بعد التّطرق لسيرة سيد قطب باختصار وعرض أهم مؤلّفاته، نسلّط الضّوء الآن على التّعريف بكتابه باختصار أيضًا، ويكون من جانب الشّكل أي تخريج الكتاب الفني مع التّطرق إلى قصّة تأليفه وسبب التّسمية والفرق بين طبعاته، ومن جانب المحتوى أي ما انضوى عليه الكتاب من تقسيمات وتفرّعات.

الفرع الأول: التّخريج الشّكلي للكتاب وطبعاته

اعتمد في دراسة هذا العنصر طبعة دار الشّروق ببيروت-لبنان، الطّبعة الثّانية والثّلاثون، عام 1423هـ – 2003م. **(قطب، 1423هـ - 2003م)** والنّسخة الإلكترونية المصوّرة ملف pdf المحمّلة من موقع مكتبة عين الجامعة **(قطب، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م)**. الطّبعة الشّرعية الثّانية والثّلاثون اعتمدت على الطّبعة الشّرعية الأولى عام 1972م، وهي طبعة جديدة مشروعة تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلّف، وهي تنشر لأوّل مرة مع المراجعة الشّاملة والتّصويب والتّدقيق لما كان في الطّبعة الأصلية -الّتي صُوّرت عنها الطبعات غير المشروعة- من أخطاء في الآيات القرآنية والتّفسير.

وقد جاء الكتاب في أربع ألاف وأربعة وثلاثين صفحة، ضم ست مجلّدات تحتوي على ثلاثين جزء، المجلد الأوّل احتوى أربعة أجزاء، والثّاني احتوى ثلاثة أجزاء، والثّالث احتوى أربعة أجزاء، والرّابع احتوى سبعة أجزاء، والخامس احتوى سبعة أجزاء، والسّادس احتوى خمسة أجزاء، يليها فهرس الموضوعات من الصّفحة أربعة ألاف وثلاثة عشر إلى الصّفحة أربعة ألاف وواحد وثلاثين .

أمّا عن قصّة تأليف وسبب تسميته واختلاف طبعاته فهي كالتّالي: لما فرغ سيد قطب من كتابه التّصوير الفني في القرآن كان له رجاء أن يفسر القرآن، وبعد سنوات شرح الله صدر سيد قطب أن يكتب في مجلة مسلمون مقالات في تفسير القرآن عن طريق حلقات متتابعة استفتحها في العدد الثّالث واستمر إلى غاية العدد السّابع، وتوقّف عند تفسيره الآية مائة وثلاثة من سورة البقرة، وتعهّد بإصدار جزء من تفسير الظّلال كل شهرين وفعلا كان، وبعدما أصدر ستة عشر جزءًا منه وقعت محنته الأولى وأودع السّجن في نهاية 1954م، ثمّ يسّر الله لسيد قطب إكمال تفسيره بطريقة عجيبة، حيث أنّ الحكومة منعته من التّأليف داخل السّجن، فرفعت عليها دار الإحياء الكتب العربية دعوى قضائية ضدها تطالبها بدفع تعويض مالي كبير لها لأنّها تضرّرت بعد منع سيد قطب من الكتابة، لأنّ لوائح السّجن تمنع السّجين من الكتابة واقتناء أدواتها، فاختارت الحكومة أن تأذن لسيد الكتابة بدل أن تدفع الضّرر المالي الكبير، وعيّنت الشّيخ محمّد الغزالي أحد كبار موظفي وزارة الأوقاف في ذلك الوقت رقيبًا دينيًا، تعرض عليه أصول الظّلال قبل نشره. وقد أجاز الشّيخ الغزالي الظّلال كلّه ولم يمنع إلّا صفحات معدودات، وأكمل سيد قطب تأليفه في نهاية الخمسينيات. (الخالدي، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، الصفحات 438 - 442 / 446 / 452، 453).

أمّا عن تسميته (الخالدي، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 446)"قال في مقدّمة الطّبعة الأولى: في ظلال القرآن: عنوان لم أتكلّفه فهو حقيقةٌ عشتها في الحياة.. فبين الحينِ والحينُ كنت أجد في نفسي رغبة خفية في أن أعيشَ في ظِلِّ القرآن فترة أستروحُ فيها ما لا أستروحُهُ في ظلِّ سواه".

وطبعات الكتاب: طبع في ثلاث طبعات في حياة صاحبه، وعدّة طبعات بعد استشهاده، فظهرت عدّة طبعات غير مشروعة، وآخره الطّبعات وأجودها طبعة دار الشّروق الّتي أصدرتها في ستة مجلّدات كبيرة، وكانت طباعة مشروعة بإذن من الأستاذ محمّد قطب أخ سيد . (الخالدي، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 444، 445).

أما أسباب الطّبعة المنقّحة لتفسير في ظلال القرآن (الخالدي، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 442، 443) "أنضجت محنة السّجن فكر سيد قطب وتصوّره، وتَعمَّقَتْ تجربَتُهُ الدّعوية، ووفّقه الله إلى الوقوف على المنهج الحركيّ للقرآن... ودعت الحاجة إلى إعادة تفسير القرآن، وإعادة كتابة في ظلال القرآن على أساس المفتاح الحركيّ الجديد، وَوِفْقَ مكتسباته الدّعوية والحركية الجهادية ".

وأمّا هدفه من التّأليف كان (الخالدي، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 453): "أن يقدّم للقراء ما وجده وحقّقه من الحياة في ظلال القرآن، ليعيشوا كما عاش، ويتذوّقوا كما تذوّق، وليتحرّكوا به كما تحرّك." لذا اختلف منهج سيد بين طبعته الأولى والطّبعة المنقّحة، ففي الأولى كان منهجه في التّفسير ربّاني فكريٌّ نظريٌّ، أما الطّبعة المنقّحة فكان منهجه في التّفسير حركيٌّ دعويٌّ تربويٌّ. (الخالدي، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 445) وهذا ما يلاحظه المتصفّح لطبعات تفسير في ظلال القرآن.

الفرع الثاني: التّخريج المضموني للكتاب

يبدأ الكتاب بالمجلد الأوّل والّذي يحتوي أربعة أجزاء، حيث استفتحت الصّفحة تسعة تقديم بقلم محمّد قطب أثنى فيه على دار النّشر وصاحبها الّذي هو صاحب رسالة وليس جامع مال، وهي إهداء إلى المؤلّف الشّهيد كما وصف سيد قطب .

ثمّ مقدمة الكتاب لسيد قطب من الصّفحة إحدى عشر إلى الصّفحة الثّامن عشر، ويلاحظ أن مقدمته للطبعة الأولى من الظلال كانت مختصرةً جدًا، بينما مقدمته للطبعة المنقحة كانت مطوّلة مع منهجه الحركي الدّعوي التّربوي، الذي استقر عليه، وسجَّلَ في مقدمتهِ شعورَه بنعمةِ الله، الّذي منَّ عليه بالحياة في ظلال القرآن، كما سجَّلَ مكاسبه من الحياة في ظلال القرآن، وذكر ما عاش فيه من بعض الخواطر والانطباعات والنتائجَ اليقينية التي خرجَ بها من هذه الحياة، ومن بينها :

أنّ الحياة في ظلال القرآن نعمة، نعمة لا يعرفها إلّا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه، فمن عاش في ظلال القرآن عاش أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدها الله تعالى، وحركة هذا الكون الذي أبدعه الله تعالى،... وعاش يرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود، أكبر في حقيقته، وأكبر في تعدد جوانبه،... وانتهى إلى يقين جازم حاسم؛ إنه لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة؛ إلا بالرّجوع إلى الله عز وجل (قطب، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، الصفحات ج1/ 11 - 18) .

ويبدو أن هذه سمة عامة في فكر سيد قطب، فالّذي يستقرئ كتبه في مختلف المجالات يجدها واضحة وضوح الصبح لذى عينين، وهو ما يدل على التحرر والتفرد، وما قدمه سيد من تذوّقه للحياة في ظلال القرآن، وما خرجَ به من هذه الحياة المباركة إلى القراء، ليعيشوا كما عاش، ويتذوقوا كما تذوق، ويتحركوا بالقرآن كما تحرك.

استهل الجزء الأوّل الّذي احتوى تفسير سورة الفاتحة وأوّل سورة البقرة إلى غاية الآية مائة وإثنين وأربعين. ثمّ الجزء الثّاني واحتوى على مقدمة وتكملة تفسير سورة البقرة إلى غاية الآية مائة واثنين وأربعين. ثمّ الجزء الثّالث ابتدئه بمقدمة وتفسير ما تبقى من سورة البقرة وتفسير سورة آل عمران من الآية الأولى إلى غاية الآية اثنين وتسعين. ليختتم المجد الأوّل بالجزء الرّابع الّذي استهله بمقدمة وتفسير بقية سورة آل عمران وتفسير سورة النّساء من الآية الأولى إلى الآية الثّالثة والعشرين .

ليأتي المجلد الثّاني ويضم ثلاثة أجزاء، الجزء الخامس ابتدئه المؤلّف بمقدّمة ثمّ تفسير سورة النّساء من الآية الرّابعة والعشرين إلى غاية الآية مائة وسبعة وأربعين، واحتوى الجزء السّادس مقدّمة وتفسير بقية سورة النّساء وتفسير سورة المائدة من الآية الأولى إلى غاية واحد وثمانين، ثم يأتي الجزء السّابع افتتح بمقدّمة وبعدها تفسير ما تبقى من سورة المائدة وتفسير سورة الأنعام من الآية الأولى إلى الآية مائة وإحدى عشر.

بعده المجلّد الثّالث ويحتوي على أربعة أجزاء، استهل الجزء الثّامن بمقدّمة وتفسير بقية سورة الأنعام وتفسير سورة الأعراف من الآية الأولى إلى غاية الآية الثّالثة والتّسعين. ويأتي الجزء التّاسع بمقدّمة وتفسير بقية سورة الأعراف وتفسير سورة الأنفال من الآية الأولى إلى غاية الآية الأربعين منها، ثمّ الجزء العاشر تتصدّرُهُ مقدّمة وتفسير بقية سورة الأنفال وتفسير سورة التّوبة من الآية الأولى إلى الآية الثّانية والتّسعين، والجزء الحادي عشر فيه مقدّمة وتفسير بقية سورة التّوبة وتفسير سورة يونس.

وفي المجلّد الرّابع سبعة أجزاء هي: الجزء الثّاني عشر يضم مقدّمة وتفسير سورة هود وتفسير سورة يوسف من الآية الأولى إلى الآية الثّالثة والخمسين، ليأتي الجزء الثّالث عشر فيه مقدّمة وتفسير ما تبقى من سورة يوسف وتفسير سورتا الرّعد وإبراهيم، يلاحظ بعد هذا الجزء عدم تصدير سيد قطب لأي جزء بمقدّمة كما صنع مع سابق الأجزاء، حيث أنّ الجزء الرّابع عشر هو تفسير لسورتا الحجر والنّحل، ثم الجزء الخامس عشر في تفسير سورة الإسراء وتفسير سورة الكهف من الآية الأولى إلى الآية اثنان وعشرين، ثم يأتي الجزء السّادس عشر فيه تفسير لبقية سورة الكهف وتفسير سورتا مريم وطه، وفي الجزء السّابع عشر تفسير سورتا الأنبياء والحج، وفي الجزء الثّامن عشر تفسير سورتا المؤمنين والنّور.

وأمّا المجلّد الخامس فيضم سبعة أجزاء هي: الجزء التّاسع عشر فيه تفسير سورة الفرقان والشّعراء وقسم من سورة النّمل من الآية الأولى إلى غاية الآية الثّامنة والخمسين، وفي الجزء العشرين تفسير لبقية سورة النّمل وتفسير سورة القصص وسورة العنكبوت من الآية الأولى إلى الآية الخامسة والأربعين، أمّا الجزء الحادي والعشرين فيه تفسير بقية سورة العنكبوت وتفسير لكل من سورة الرّوم ولقمان والسّجدة وسورة الأحزاب من الآية الأولى إلى غاية الآية السّابعة والعشرين، وفي الجزء الثّاني والعشرين بقية تفسير سورة الأحزاب وتفسير سورتا سبأ وفاطر، أمّا الجزء الثّالث والعشرون فكان في تفسير سور: يس والصّافات وص، وفي الجزء الرّابع والعشرين تفسير سور: الزّمر وغافر وفُصّلت، أمّا الجزء الخامس والعشرون ففيه تفسير السّور التّالية: الشّورى والزّخرف والدّخان والجاثية.

ويحتوي المجلّد السّادس والأخير خمسة أجزاء كالآتي: الجزء السّادس والعشرون من سورة الأحقاف إلى سورة قاف، الجزء السّابع والعشرون من سورة الذّاريات إلى سورة الحديد، أمّا الجزء الثّامن والعشرون من سورة المجادلة إلى سورة التّحريم، أمّا الجزء التّاسعة والعشرون ففيه لتّفسير من سورة الملك إلى سورة المرسلات، وآخر جزء هو الثّلاثون فيه تفسير من سورة النّبأ إلى سورة النّاس. ويختم المجلد السّادس بالفهرس.

وقد وصف تفسيره بأنّه تفسير حركي تربوي وهذا يوضح منهجه حيث قال الخالدي (الخالدي، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 410): "وكلّ كتبه الّتي أُلّفت بعد عام 1954 ألّفها في السّجن، وعلى رأسها موسوعته الحركية التّربوية التّفسيرية في ظلال القرآن" وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث التّالي.

المبحث الثاني: المنهج الإصلاحي الحركي في تفسير الظّلال وسياق التّجديد فيه

وصف محمّد قطب تفسير سيد فقال (الخالدي، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 453): "الكتابُ الذّي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كلّه.. وعاشه لحظة لحظة.. وفكرة فكرة.. ولفظة لفظة.. وودعه خلاصة تجربته الحيّة في عالم الإيمان.."، وبهذا أحدث نقلة نوعية في مناهج تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، وفي المطلبين التّاليين نسعى الوقوف على منهجه التّجديدي في تفسير القرآن الكريم وعلى مرتكزاته وأهم أسسه، ونماذج منهجه الإصلاحي الحركي.

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح الحركي كمنهج في تفسير سيد قطب

سنتناول في هذا المطلب فرعين أوّلها ضبط اصطلاحي لأهم مفردات المبحث، والثّاني عرض مختصر لبعض مميزات الفكر والمنهج عند سيد قطب.

الفرع الأول: ضبط المصطلحات

المنهج لغة: كالمناهج، وهو الطريق الواضح. (زكريا(ت، 1399هـ - 1979م، صفحة ج5 / 361)

والمنهج التفسيريّ هو المسلك الذي يتّبعه المفسِّر في بيان المعاني، واستنباطها من الألفاظ، وربط بعضها ببعض، وذكر ما ورد فيهما من آثار، وإبراز ما تحمله من دلالاتٍ، وأحكامٍ، ومعطَياتٍ، دينِيّةٍ وأدبِيّةٍ وغيرِها، تَبَعًا لاتّجاه المفسِّر الفكريّ والمنهجِيّ، ووِفْق ثقافته وشخصيّته. (إسماعيل، 1411هـ – 1991م ، صفحة 31)

الطريقة لغة: السيرة، والمذهب، والحالة. (منظور(ت، 1414هـ – 1994م، صفحة ج10 / 221)

والطّريقة التفسيريّة فتعني الأسلوب الذي يطرقه المفسِّر عند سلوكه للمنهج المؤدّي إلى الهَدَف أو الاتّجاه.

وقد تختلف طُرُق أصحاب المنهج الواحد في التفسير، فيبدأ أحدُهم بالنصّ أوّلًا، ثمّ بيان المفردات، ثمّ المعنى الإجماليّ للآيات، ثمّ يستخرج أحكامها؛ ويختلف آخرُ فيذكر النصّ أوّلًا، ويمزج بين المفردات والمعنى الإجماليّ، ويتوسَّعُ في هذا المقام فيبسط الحديث عند كلّ قضيّةٍ، ويردُّ على الشُّبَه أثناء ذلك؛ ويختلف ثالثٌ فيذكرُ بعد النصّ بيانَ المفردات، ويخلطها بشيءٍ من المعنى الإجماليّ، ثمّ يعقد الأبحاث المطوّلة بعد ذلك للقضايا التي تناولتها الآيات. (الرومي، 1418هـ – 1997م، صفحة ج1 / 22،23) من خلال التعاريف السابقة، فأني أدعو الباحثين إلى التمييز بين المنهج والطريقة لدى أي مفسر، وإلى تحديد كل منهما بصورة بينة واضحة!

إن المنهج يعني: نظرة المفسر إلى القرآن الكريم، وصلته به، والزّاوية الّتي يتعامل به من خلالها، والكيفية الّتي يخرج بها علومه ومعارفه وكنوزه. ومن ثم يعني المنهج؛ تلك القواعد الأساسية التي تحكم تفسير المفسر، والمنطلقات الرئيسية التي انطلق منها في تفسيره، ويمكن ملاحظتها في التفسير كله، حيث يكون كله مظهرًا لها، وبذلك يمكن تحديد سمات عامة للتفسير، ورسم إطار عام له.

أما الطريقة فتعني: تطبيق قواعد المنهج عمليًا في تفسيره، والتزامه بتلك القواعد وهو يفسر الآيات تفصيليًا، والكيفية التي سار عليها في تفسير الآيات، والشكل الذي عرض به علوم القرآن وموضوعاته، بما يحقق منهجه الذي التزمه، وهدفه الّذي حدده. (الخالدي ص.، 1421هـ – 2000م، صفحة 194، 195)

ومفهوم التّفسير عند سيد قطب "هو حسن فهم وإدراك القرآن وتذوّق معانيه" (الخالدي ص.، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 455) وقصد إلى أن يكون كتاب دعوة وحركة وتربية يتربى بها المسلم ويتحرّك بعد ذلك بالقرآن، فهو وسيلة لتقريب المسلمين للقرآن حتّى يزيل الفجوة العميقة عن طريق التّحرك به في واقعهم، أي تفسير الظّلال ليس غاية في حدّ ذاته بل هو وسيلة لتحقيق الغاية. (الخالدي ص.، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 455، 456)

أمّا مفهوم المنهج الحركي عند سيد قطب فقد صرّح به في كذا موضع من تفسيره ومن بينها: قوله: "والحياة في جو القرآن لا تعني مدارسة القرآن، وقراءته والاطّلاع على علومه... إنّ هذا ليس جو القرآن الّذي نعنيه.. إنّ الّذي نعنيه بالحياة في جو القرآن: هو أن يعيش الإنسان في جو، وفي ظروف، وفي حركة، وفي معاناة، وفي صراع، وفي اهتمامات.. كالّتي كان يتنزّل فيها هذا القرآن... والّذين لا يعيشون في مثل هذا الجو معزولون عن القرآن مهما استغرقوا في مدارسته وقراءته والاطّلاع على علومه... ويحاولون أن يعيشوا في جو القرآن حقًّا بالعمل والحركة، وعندئذٍ فقط سيتذوقون القرآن، ويتمتّعون بهذه النّعمة الّتي يُنْعِم الله بها على من يشاء." (قطب، في

ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج2 / 1016، 1017) يوضح سيد قطب في قوله إن من أراد أن يعيش ويتذوق حلاوة القرآن لن يتم له ذلك إلا إذا تجرد من علومه النّظرية وجعل القرآن يتجلى في أعمالهم أفعالهم أقوالهم أخلاقهم يتحرّكون به في حياتهم في جميع مجالاتها وفروعها وجوانبها وأحوالها ظروفها وسواء حل المعاناة والصّراع أو حال الفرج والتيسير، وبذلك يصلح الحال.

وقوله: "ونحن نؤكد على هذه السّمة في هذا القرآن... سمة الواقعية الحركية. لأنّها في نظرنا مفتاح التّعامل مه هذا الكتاب وفهمه، وفقهه وإدراك مراميه وأهدافه... إنّه لا بد من استصحاب الأحوال والملابسات والظّروف والحاجات والمقتضيات الواقعية العملية الّتي صاحبت نزول النّص القرآني... لا بد من هذا لإدراك وجهة النّص وأبعاده ومدلولاته؛ ولرؤية حيويته وهو بعمل في وسط حي؛ ويواجه الحالة الواقعة، كما يواجه أحياء يتحرّكون معه أو ضدّه. وهذه الرّؤية ضرورية لفقه أحكامه وتذوّقها، كما هي ضرورية للانتفاع بتوجيهاته كلّما تكرّرت تلك الظّروف والملابسات في فترة تاريخية تالية، وعلى الأخص فيما يواجهنا اليوم ونحن نستأنف الدّعوة الإسلامية. نقول هذه المقالة ونحن على يقين أن لن يرى هذه الرّؤية اليوم إلّا الّذين يتحرّكون فعلا بهذا الدّين في مواجهة الجاهلية الحاضرة...، إنّ هؤلاء الّذين يتحرّكون بهذا الدّين في مواجهة الجاهلية؛ يواجهون به ما كانت تواجهه الجماعة المسلمة الأولى... هم وحدهم الّذين يرون تلك الرّؤية... وهو وحدهم الّذين يفقهون هذا القرآن؛ ويدركون الأبعاد الحقيقية لمدلولات نصوصه. على النّحو الّذي أسلفت... وهو وحدهم الّذين يملكون استنباط فقه الحركة الّذي لا يعني عنه فقه الأوراق، في مواجهة الحياة المتحرّكة الّتي لا تكف عن الحركة!" (قطب، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج4 / 2121، 2122) يؤكد سيد أن سمة الواقعية الحركية ملازمة للقرآن الكريم منذ تنزيله إلى غاية أن يرث الله الأرض وما عليها، وأنّه لن يقوم واقع المسلمين الآن إلاّ بما قام به في الأوّل وأنّه يتحرك به في الحياة وليس حبيس الأوراق أو التّلاوات.

وممّا قال أيضًا: "وبمناسبة هذه الإشارة إلى فقه الحركة نحب أن نقرّر أن الفقه المطلوب استنباطه في هذه الفترة الحاضرة هو الفقه اللّازم لحركة ناشئة في مواجهة الجاهلية الشّاملة... حركة تهدف إلى إخراج النّاس من الظّلمات إلى النّور، ومن الجاهلية إلى الإسلام، ومن الدّينونة للعباد إلى الدّينونة لربّ العباد؛ كما كانت الحركة الأولى -على عهد محمّد صلّى الله عليه وسلّم- تواجه جاهلية العرب بمثل هذه المحاولة؛ قبل أن تقوم الدّولة في المدينة؛ وقبل أن يكون للإسلام سلطان على أرض وعلى أمّة من النّاس." **(قطب، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج4 / 2122)** أكد سيد هنا أنّ إرجاع الإنسان إلى فطرته الصّحيحة السّليمة الّتي تقوم على الدّينونة للّرب وحده لا شريك له لا تكون إلّا بتحريك الفقه أيضا الّذي يجب أن يكون مستندًا على الحركة الأولى الّتي أتى بها النّبي صلى الله عليه وسلّم وجاهد وقاوم وصبر من أجل إقامة هذا الدّين، ولا يتم إصلاح الحاضر إلّا بما أصلح به الماضي .

ومن خلال عرض بعض أهم أقوال سيد قطب من تفسير الظّلال الّذي يوضح فهم مفهومه لمنهجه الإصلاحي الحركي في تفسيره للقرآن الكريم، يمكن أن نستخلص بأنّه: تفسير القرآن الكريم بإسقاطه على الواقع معاش وتطبيقه في الحياة وتقديمه لحل مشكلات الواقع، والعودة لظروف تنزيله وكيفية عمل النّبي صلى الله عليه وسلم وصحابه به، والاحتكام إليه في كلّ أمور الحياة، وهذا كله بغية الإصلاح، لتحقيق الغاية من الاستخلاف في الأرض والخلق وهي تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له على الوجه الّذي يريده ويرضاه، وللوصول إليه يجب الالتزام بتعاليم القرآن وتطبيقها. وقد قال حسين بن حمّودة عن منهج سيّد قطب في تفسيره: "هو أشهر من وضع للنّاس تفسيرًا فكريًا سياسيًا حركيًا اجتماعيًا اقتصاديًا للقرآن بروح أدبية ونظرة واقعية علمية."(حمودة ح.، شعبان 1429هـ، صفحة 4) حيث أنّ سيد حرص على العيش بالقرآن الكريم مثلما كان الرّسول صلى الله عليه وسلم حيث وصفت عائشة رضي الله عنها النّبي صلى الله عليه وسلم بأنّه كان خلقه القرآن، جاء في صحيح مسلم كتاب الصّلاة (6)، باب جامع صلاة اللّيل ومن نام عنه أو مرض (18)، الحديث رقم 746، أنَّ سَعْدَ بنَ هِشَامِ بنِ عَامِرٍ سأل عائشة رضى الله عنها فقال: "يا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عن خُلُقِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قُلتُ: بَلَى، قالَتْ: فإنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كانَ القُرْآنَ." (النّيسابوري(ت261هـ)، 1419هـ – 1998م، صفحة 293).

الفرع الثاني: مميزات فكر سيد قطب ومنهجه الإصلاحي

تميّز فكر وشخصية سيد قطب بـ: نفاذ البصيرة وعمق النّظر، سعة الأفق، الجدّية، الاحتياط والورع والهيبة أمام النّصوص القرآنية، التّركيز على العقيدة وشرح لا إله إلا الله. ينظر (حمودة ح.، شعبان 1429هـ، الصفحات 43 - 49) وبذلك تميز تفسيره حيث "يُعد هذا الكتاب تجديدًا في علم التّفسير لما حواه من نظرة سياسية، اقتصادية اجتماعية حركية تفاعلية مع الواقع، وهذا لا يوجد في كتب التّفسير الّتي سبقته." (حمودة ح.، شعبان 1429هـ، صفحة 62) والمتتبع لسيرته ونشأته يجد أنّه عمل على صقل فكره وشخصيته منذ طفولته وتميز بالعمل على تحسين وتغيير واقعه ومحيطه وبيئته إلى الأحسن فأوّل أمر كلّف به كان أمل أمه فيه أن يغير مستواهم ويدفع ديون أبيه... فمنذ صغره كانت مهمته الإصلاح والتّغيير بطريقة أو بأخرى، ومعايشته لواقعه جعله يتطور وينضج فكريًا وشخصيًا ودينيًا، لذا فإنّ منهج سيد قطب في تفسير القرآن الكريم تطوّر عبر ثلاثة محاور هي:

- اعتمد في المرحلة الأولى المنهج الجمالي عن طريق التّركيز على التّصوير الفنّي أي بناه على المفتاح الجمالي.
- وفي المرحلة الثّانية تركّز على المنهج الفكريّ، وأضحى المنهج الجمالي عنصر ثانوي في تفسيره مكمّل للفكري.
- أما المرحلة الثّالثة أتى فيها بالمنهج الحركي، وهو المنهج الّذي استقر عليه وعلى أساسه أعاد كتابة تفسير في ظلال القرآن.

ينظر: (الخالدي ص.، سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد، 1421هـ - 2000م، صفحة 458، 459) (الخالدي ص.، 1421هـ – 2000م، الصفحات 14 - 32).

هذا التّطور كان تبعًا لتطور منهجه الإصلاحي، تبعًا لتطورات ظروف الأمّة الإسلامية في ذلك الوقت وأوضاع مصر خاصة، ولا يخفى أنّه كان من رواد الإصلاح الفكري والتربوي والاجتماعي والسّياسي... وأهم نقطة إصلاحية رام إليها هو الإصلاح الدّيني، من خلال إعادة بث الرّجوع إلى الشّريعة الإسلامية وعلى رأسها القرآن الكريم، لذا نرى أن "منهج سيد قطب في التّفسير كان يتطوّر ويتدرّج، حسب اهتماماته الجديدة، وأنّه -نتيجة لذلك- مر بثلاث مراحل متدرجة: فهو منهج جمالي صرف في مكتبة القرآن الجديدة، وهو منهج فكري جمالي في الطّبعة الأولى من الظّلال، وهو منهج حركي ثم فكري جمالي في الطّبعة المنقّحة من الظّلال" (الخالدي ص.، 1421هـ – 2000م، صفحة 32).

وإنّ استحداث "الشّيخ سيد لمصطلحات عبّر فيها عن بعض الحقائق الشّرعية، كمصطلح توحيد الحاكمية، والإسلام الحركي، والعدالة الاجتماعية في الإسلام، وغيرها من المصطلحات، الحقيقة أنّ هذه المصطلحات لا تخرج عن كونها مصطلحات عربية تعبّر عن مفاهيم شرعية موجودة في نصوص القرآن والسّنة، فالشّيخ سيد تتبّع الآيات والأحاديث واستقرأها ثمّ وضع هذه المصطلحات الّتي تعبر عن مجموعة نصوص شرعية ثابتة." (حمودة ح.، شعبان 1429هـ، صفحة 66) وتطوّر قاموسه المصطلحي الدّيني كان تبعًا لنضوجه العلمي والدّيني، واعتمده كأحد أساليبه في الإصلاح الدّيني. ومن أمثلة استعمال مصطلح الحاكية في تفسير آيات من سورة النّساء من الآية أربعة وعشرين إلى الآية خمسة وثلاثين، حيث قال: "...وهو أن هذه التّنظيمات والأحكام صادرة من الله، وهي مقتضى ألوهيته. فأخص خصائص الألوهية -كما كرّرنا ذلك في مطلع السّورة- هو الحاكمية، والتّشريع للبشر..." (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج5 / 619) ومثال مصطلح العدالة الاجتماعية ما أورده في مقدمته التمهيدية لتفسير سورة الأنعام حيث قال: "لقد كان الله -سبحانه- يعلم أنّ هذا ليس هو الطّريق الحق.. كان يعلم أنّ العدالة الاجتماعية لا بد أ تنبثق في المجتمع من تصور اعتقادي شامل، يرد الأمر كله لله؛..." (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج7 / 1006) وأيضًا في قوله:"وتطهر المجتمع من الظلم الاجتماعي بجملته. وقام النّظام الإسلامي يعدل بعدل الله، ويزن بميزان الله، ويرفع راية العدالة الاجتماعية باسم الله وحده؛ ويسميها راية الإسلام..." (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج7/ 1008)، وتفسيره زاخر بمصطلحاته ذكرنا هذه للتمثيل وليس الحصر.

كان سيد قطب يعمل على ربط المفاهيم القرآنية بوعي المجتمعات المسلمة؛ على الصعيد الفردي والجماعي، لذا نراه يحرص على غرس المفاهيم القرآنية ومعانيها لدى المسلمين، ليكون القرآن رسالة هداية مطلقة، لذا يقول في هذا الإطار: "النّاس بعدوا عن القرآن، وعن أسلوبه الخاص، وعن الحياة في ظلاله، وعن ملابسة الأحداث والمقوّمات التي يشابه جوُّها الجوَّ الذي تنزّل فيه القرآن، وملابسةُ هذه الأحداث والمقوّمات، وتَنسُّمُ جوها الواقعي، هو وحده الذي يجعل هذا القرآن مُدرَكًا وموحيًا كذلك. فالقرآن لا يدركه حق إدراكه من يعيش خالي البال من مكان الجهد والجهاد لاستئناف حياة إسلامية حقيقية، ومن معاناة هذا الأمر العسير وجرائره وتضحياته وآلامه، ومعاناة المشاعر المختلفة التي تصاحب تلك المكابدة في عالم الواقع، في مواجهة الجاهلية في أي زمان" ! (قطب إ.، 1423هـ – 2002م، صفحة 7).

ومن هنا برز سياق التّجديد في الإصلاح عنده سواء من الجانب الفكري أو الدّيني وحتى في تفسيره للقرآن الكريم، وهذا ما سنتطرق إليه في المطلب الثّاني.

المطلب الثاني: سياق التّجديد في تفسير الظّلال من خلال المنهج الإصلاحي الحركي

تناول هذا المطلب فرعية الأوّل يتحدث عن سياق التّجديد في منهج سيد قطب عموما والثّاني عن المنهج الإصلاحي الحركي في تفسيره الظّلال.

الفرع الأول: سياق التّجديد في منهج سيد قطب التّفسيري

إن المسألة في إدراك مدلولات هذا القرآن وإيحاءاته، ليست هي فهم ألفاظه وعباراته، وليست هي تفسير القرآن كما اعتدنا أن نقول! المسألة وضّحها سيد قطب حين قال (قطب إ.، 1423هـ – 2002م، صفحة 7): "إنما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب، تشابه المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله، وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعترك، معترك الجهاد، جهاد النفس وجهاد الناس. جهاد الشهوات وجهاد الأعداء. والبذل والتضحية، والخوف والرجاء، والضعف

والقوة، والعثرة والنهوض." بهذا الاستعداد يدرك المفسر آيات القرآن الكريم ويفسره، ويقف على سمة أساسية من سماته لا يمكن الوقوف عليها ولا إدراكها إلا بهذا المنهج وهذه الطريق، وهي التي أطلق عليها سيد قطب سمة الواقعية الحركية؛ الّتي هي مفتاح التعامل مع هذا الكتاب وفهمه وفقهه وإدراك مراميه وأهدافه.

وكما هو معلوم فإنَّ المفسرين السّابقين لم يتناولوا قراءة القرآن الكريم بهذا التناول، وعلى أساس هذا المنهج، لذلك لم يدركوا هذه السمة -الواقعية الحركية- للقرآن فجاءت تفاسيرهم -على اختلافها- تثقيفية نظرية! بينما سيد قطب تناوله من زاوية مغايرة، وعلى أساس هذا المنهج أدرك هذه السّمة الواقعية الحركية، فجاء تفسيره في ظلال القرآن تفسيرًا تربويًا حركيًا عمليًا، ولبّى حاجات المسلمين المعاصرين، وفتح به كنوز القرآن الكريم الحركية والعملية المدخرة فيه، فوفقه الله للوقوف على المفتاح الحركي الذي فتحها به. ولأجل هذا جاء في ظلال القرآن تفسيرًا فريدًا للقرآن الكريم لا يغني عنه أي تفسير آخر، ولذلك اعتبرناه نقلةً بعيدةً جديدة في التفسير. ومن بين المواضع الّتي صرّح فيها بالمنهج الحركي في تفسيره في قوله: "... إنّ هذا الدّين منهج عملي حركي جاد.. جاء ليحكم الحياة في واقعها..." ثمّ أكمل: "... ومن ثمّ فهو لا يشرع إلّا لحالات واقعة فعلا، في مجتمع يعترف ابتداء بحاكمية الله وحده.." يرجع (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ -2003م، صفحة ج 7 / 1010)

يتجاوز سيد قطب كلام من سبقه من المفسرين لحرصه على عدم التّكرار وعلى الإتيان بالجديد ليقف أمام النص مباشرة، ويسجل دلالاته الفنية والاجتماعية والتربوية والحركية والتاريخية وما يوجه إليه من معان وإيحاءات. وكانت تستوقفه ظاهرة توجيه الأسئلة المختلفة من الصحابة الكرام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أوردها القرآن الكريم وتولى الإجابة عليها. ومن بينها :

- ﴿* يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البَقَرَة الآية 189].
- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البَقَرَة الآية 215].
- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البَقَرَة الآية 217].
- ﴿* يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ﴾ [البَقَرَة الآية 219].
- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البَقَرَة الآية 222].

وهذه الأسئلة ذات دلالات شتى، وقد بين سيد قطب ثلاثًا منها: 1. فكرية اجتماعية 2. تربوية نفسية منهجية 3. تاريخية دعوية حركية (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج1 / 179، 180).

فعندما سألوا الرّسول ﷺ عن الأهلة: ظهورها ونموها وتناقصها، لم يجب القرآن عن هذا السؤال، وإنما أجابهم جوابًا حياتيًا عمليًا، حيث بين وظيفتها في واقعهم وفي حياتهم، فما هو السر في هذا العدول في الجواب؟ وما دلالاته على المنهج السليم في التصور والتربية، والعلم والتفسير؟ وقف سيد وقفة مطولة ليتحدث عن هذه الدلالة التي لم يلتفت لها من سبقه من المفسرين (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، الصفحات ج1 / 180 - 182).

والمثير للانتباه في طريقة سيد في دراسة الصورة القرآنية، ابتعاده عن التعبير البلاغي وانتقاصه منه في أكثر من موضع فهو لا يؤدي الغرض الجمالي بالنسبة إليه، بقدر ما يؤدي الغرض التعليمي. المهم عند سيد قطب هي حركة الصورة وحيويتها ومدى تأثيرها في المتلقي. (محاوي، ديسمبر2012، صفحة 79). ويقصد محاوي في كلامه إنّ منهج سيد قطب في تفسيره يركز على توضيح البعد التربوي الحركي الإصلاحي في القرآن الكريم أكثر من تركيزه على التّعبير بلاغي، أي حين يفسر الآيات يبرز التّعبير البلاغي بقدر الحاجة ولا يخوض فيه ويفصل ويسترسل، أمّا الجانب البلاغي للقرآن الكريم فقد كان ضمن موضوع كتابه التّصوير الفنّي في القرآن الكريم.

وقد عرف أن منهج سيد قطب في التّفسير كان على النّحو التّالي: "لقد فسّر سيد القرآن بالقرآن، وفسّر القرآن بالأحاديث، وشرح مفردات الكلمات الغريبة، وذكر أسباب النّزول، وتكلّم عن فقه بعض الآيات، وأتى بأقوال العلماء، ورجّح بين الأقوال، واستخلص من القصص العبر والعظات، وربط بين الأجزاء والسّور، وترك الإسرائيليات، وربط بين كلام الله سبحانه بواقع النّاس في زمانه والأزمنة الغابرة والمستقبلة بأسلوب لم يُسبق به ولم يأت بعده –إلى الآن- مثلهُ أو يدانيه" (حمودة ح.، شعبان 1429هـ، صفحة 63). فهو منهج أصيل ارتكز على قواعد وأصول التّفسير ثم تفرّد بزاوية الإصلاح الحركي الّتي استنبطها من القرآن الكريم حيث أنّه أتى لنفس الواقع الّذي أنزل فيه مهما تغيرت وتطورت الأحداث إلّا أن المنطق وأساس الإصلاح واحد وهو التّحرك الفعلي العملي بتطبيق ما أنزل في القرآن الكريم.

وخلاصة ما سبق أن سياق التّجديد عند سيد قطب هو إصلاحي حركي، فدعى إلى الحركة بالقرآن لإصلاح الواقع استنادًا على التّجارب الحية الواردة في القرآن الكريم وإسقاطها على الواقع، وهذا السّياق كان تبعًا لظروفه ووليد تجربته وتعايشه مع واقعه مسايرة أحداثه، ومن هنا بزغ الأساس الّذي اعتمده في سياق تجديده في تفسير القرآن الكريم بغرض الإصلاح وفق منهج حركي، فهو تخطى أسلوب المناهج المسطورة والمنظورة إلى منهج إصلاحي حركي واقعي يخضع للتجربة وقابل للتّطبيق في الحياة، وهذا ما سنفصله في الفرع الثّاني

الفرع الثاني: المنهج الإصلاحي الحركي في تفسير سيد قطب

حين نتحدث عن المنهج الإصلاحي الحركي في تفسير في ظلال القرآن "فإننا أمام تجربة جديدة، ومنهج متفرد في النظر إلى القرآن الكريم، وفهمه، وإدراك أسراره، والحِكَم التي نُزِّل من أجلها القرآن، تجربة فريدة من نوعها لا نكاد نجد لها نظيرًا في تاريخ التفسير على الرغم من التضخم الذي حظي به تاريخ القرآن في تفسيره، واستكناه حقائقه، ويعتبر نقلة نوعية في التفسير"(زيد، 1430هـ – 2009م، صفحة 25).

ونستطيعُ أن نقول: منهجُ الإصلاح عند سيد قطب في تفسيره: منهجٌ حركيّ: لأنه يدعو المسلمين إلى حسنِ فهمِ القرآن وتدبره، ثم حسنِ الحركةِ به في عالم الواقع، وليس الاكتفاء بدراسته دراسةً تفسيرية نظرية. ومنهجٌ دعويّ: لأنه يريدُ منّا أن نجعل القرآن منطلقًا في الدعوة إلى الله، ومعرفة حقائقه وتوجيهاته الدعوية، ومواجهة الأعداء به، وردّ مؤامراتهم ضد الأمة. ومنهجٌ تربويّ: لأنه يريدُ من المسلمين أن يتربَّوا على مائدة القرآن الكريم، ويتخلَّقوا بأخلاقه ويلتزموا بتوجيهاته، وأن يصوغوا أنفسهم صياغةً قرآنية، يريدُ أن يتربى المجتمع الإسلاميُّ على القرآن، وأنْ تنشأ مؤسساتُه عليه، وأنْ يكونَ القرآنُ الكريم هو المهيمن والموجِّهُ لكلِّ مجالاتِ الحياة فيه.

إنَّ هذه النظرةَ الإصلاحية الحركيةَ للقرآن الكريم في منهج التّفسير عند سيد قطب "جعلت له أهدافًا حركية تربوية من التفسير، فهو لم يجعل تفسيره في ظلال القرآن مجرد تفسير تقليدي، يركز على المعاني النظرية العلمية المجردة، من مأثورٍ ولغةٍ وبلاغة وأحكام." (الخالدي ص.، تعريف الّدارسين بمناهج المفسرين، 1429هـ – 2008م، صفحة 608) وقدَّم سيد قطب نظريتَه الإصلاحية الحركية في فهم القرآن الكريم وتفسيره بكلماتٍ محدَّدة، يحددُ فيها نظرته إلى التفسير، حيث اتبع سيد قطب منهجًا تجديديًا في دراسة القرآن، وكان تفسيره للآيات القرآنية الكريمة يمر بعدة حقول معرفية جمالية وفكرية تربوية وصولًا إلى الإصلاح الحركي، ولفت نظره إشارات القرآن وتقريراته حول أمور فكرية وإصلاحية واجتماعية...، فاستوقفته هذه الإشارات والتقريرات، وصار يتعمق في دراستها والنظر فيها.. حينئذ لم يعد غرضه الفني الجمالي هو الوحيد، فصار عنده منهج آخر، وهو المنهج الفكري.. حيث يبحث عن النصوص القرآنية التي تتحدث عن الأمور الفكرية والقضايا الاجتماعية والمناهج الإصلاحية والنظم الحياتية، ويقف عندها ويتعمق دلالتها؛ ولهذا يبين هذا المنهج في مقدمة الطبعة الأولى من الظلال، من خلال حديثه عن طبيعته، فيقول: "وبعد: فقد يرى فريق من قراء هذا الظلال أنها لون من تفسير القرآن، وقد يرى فريق آخر أنها عرض للمبادئ العامة كما جاء بها القرآن، وقد يرى فريق ثالث أنها محاولة لشرح ذلك الدستور الإلهي في الحياة والمجتمع، وبيان الحكمة في ذلك الدستور.. أما أنا فلم أتعمد من هذا كله، وما جاوزت أن أسجل خواطري، وأنا أحيا في تلك الظلال ". (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج1/ 6) ومن هنا نستطيع أن نقول إن سيد رجل قرآني في تصوره وفكره، وفي خواطره ونظراته، وفي بحوثه ودراساته التي ألفها مع الظلال.

وكان سيد يرى أن واقع العالم الإسلامي بعيدٌ عن الإسلام وأهله، وأن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا علاقة لها بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل الإسلام. (مقدم، (يونيو2019)، صفحة 79)

وقد عاصر نهضةً فكرية شملت معظم المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فعاش سيد كغير من المصلحين مناديًا إلى إيقاظ الضمائر، والتحرر من كل أنواع العبودية والظلم والطغيان (زماميله، (نوفمبر2020)، صفحة 139).

وأشار صلاح عبد الفتّاح الخالدي إلى إبراز الأهداف التربوية لتفسير في ظلال القرآن والمتمثلة في: تزويد المسلم المعاصر بدليل عملي مكتوب، إلى سمات الشخصية الإسلامية المنشودة ولذلك كان يركز على الجانب العملي لمعناها والإيحاءات الحية التي تقود العاملين في طريق الدعوة والإصلاح ولهذا نراه يركّز كثيرًا، على بيان طبيعة الإيمان وحقيقته وقيمته ومقوماته في الحياة الإنسانية وآثاره في النفس والسلوك والحياة على مستوى الفرد والمجتمع. بيان ملامح وسمات المجتمع الإسلامي، الذي ينشئه القرآن الكريم والتعريف بالأسس القويمة لإنشائه، وذلك من منطلق أن الجماعة ضرورية لتربية الأفراد تربية قرآنية ناجحة. وبيان معالم الطريق التي تسلكه الجماعة المسلمة إلى ربّها ورسم سماته وتحديد مراحله والتحذير من الفتن والمغريات والمعوقات فيه. (الخالدي ص.، مدخل إلى ظلال القرآن، 1421هـ – 2000م، الصفحات 100 - 108) وهذا كلّه قصد الإصلاح العملي عن طريق السّعي والتّحرك في الحياة وفق مبادئ الإسلام الّتي أنزل بها القرآن الكريم.

ومقصود سيّد بالمنهج الحركي للقرآن الكريم هو الإصلاح والتّغيير بأن تتعاملَ الأمةُ مع القرآن تعاملًا جديًا واقعيًا عمليًا وليس الاكتفاء بدراسته دراسةً تفسيريةً نظريةً مع اجتزائه عن واقع نزوله، بأن تدخل الأمةُ عالمَ القرآن برصيدٍ من المشاعر تشابه المشاعر والتّجارب الّتي صاحبت نزوله وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه، أن تعيشه في مكة والمدينة، في عهد الضعف والقوة، في حال النهوض والعثرة، في عهد الخوف والبلاء والغربة بين الناس، وفي حياة الرخاء والنعيم والتمكين، في سرية الدعوة وجهرها، في الكف عن الجهاد ثم الإذن به فوجوبه، أن تعيش به مع الحدث زمانًا ومكانًا وأشخاصًا. ويكون ذلك بأن تواجهَ به الأمةُ الجاهليةَ المعاصرة، وتدخله معها في المعركة؛ كما كانت الجماعة المسلمة تواجه به الجاهلية الأولى، وأن تعيشَ في جوّه.. وتتخيل أحداثه، وتذهبُ بحسِّها إلى وقت نزوله إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ لإدراك تأثيره وتذوق معانيه.

إنَّ هذا المنهج هو الذي أقام عليه سيد تفسيره ومن ثم أقام عليه حياته، وهو المنهج الذي ارتضاه للجماعة المسلمة وقدمه للأمة على أنه المفتاح الأهم في فهم القرآن والانطلاق به في الأرض، وقدّم سيد نظريته الإصلاحية الحركية في فهم القرآن وتفسيره في أكثر من موضع من كتبه، نكتفي ببعض النصوص ونحيلُ من أراد التوسع إلى مواضع من كتبه:

يقول: "إن الحركة هي قوام هذا الدين، ومن ثم لا يفقهه إلا الذين يتحركون به، والتجارب تجزم بأن الذين لا يُدمَجون في الحركة بهذا الدين لا يفقهونه مهما تفرغوا لدراسته في الكتب دراسة باردة، وأن اللمحات الكاشفة في هذا الدين إنما تتجلى للمتحركين به حركة جهادية لتقريره في حياة الناس، ولا تتجلى للمستغرقين في الكتب العاكفين على الأوراق" (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، الصفحات ج3 / 1734 - 1736).

وفي التأكيد على بيان المهمة العملية الحركية للقرآن الكريم يقول: "والقرآن الكريم ليس كتابًا للتلاوة فقط، ولا مجالًا للأجر والثواب فقط، ولا سجلًا للثقافة أو الفقه أو اللغة أو التاريخ فقط، ولكنه الرائد الحي لقيادة أجيال الأمة، وتربيتها وإعدادها لدور القيادة الراشدة، ومن تدبر القرآن بقلب يقظ خاشع فإنه يجده توجيهات حية تتنزل اليوم لتعالج مسائل اليوم، ولتنير الطريق إلى المستقبل، فهو كائن حي متحرك. ونحن نراه في ظل هذه الواقعية يعمل ويتحرك في وسط الجماعة المسلمة، ويواجه حالات واقعة فيدفع هذه ويقر هذه، ويدفع الجماعة المسلمة ويوجهها. فهو في عمل دؤوب، وحركة دائبة، إنه في ميدان المعركة، وفي ميدان الحياة." (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج1 / 261 / 304).

ويقول: "ستظل هنالك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن الكريم ما لم نتمثل في حسنًا، ونستحضر في تصورنا أن هذا القرآن خُوطبت به أمة حية، ذات وجود حقيقي، ووُجهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة، ووجهت به حياة إنسانية حقيقية في هذه الأرض؛ وأُديرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية وفى رقعة من الأرض كذلك معركة تموج بالتطورات والانفعالات والاستجابات، وسيظل هنالك حاجز سميك بين قلوبنا وبين القرآن، طالما نحن نتلوه أو نسمعه كأنه مجرد تراتيل تعبدية غير مفهومة، لا علاقة لها بواقعيات الحياة البشرية اليومية التي تواجه هذا الخلق المسمى بالإنسان، والّتي تواجه هذه الأمة المسماة بالمسلمين! بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوسا ووقائع وأحداث حية، ذات كينونة واقعية حية؛ ووجهت بالفعل تلك النفوس والوقائع والأحداث توجيهًا واقعيًا حيًا، نشأ عنه وجود، ذو خصائص في حياة الإنسان بصفة عامة، وفى حياة الأمة المسلمة بوجه خاص." (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج1 / 348).

ونختم البحث بكلامه تأكيدًا على رسوخ منهجيته ووضوح رؤيته وتجديده في علم التفسير: ونحنُ نؤكّدُ على هذه السمةِ في هذا القرآن.. سمةِ الواقعيةِ الحركية .. لأنها في نظرنا مفتاحُ التعاملِ مع هذا الكتاب، وفهمِه وفقهِه، وإدراكِ مراميه وأهدافه. (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج4 / 2121 / 2038، 2039) (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج2 / 1399) (قطب س.، في ظلال القرآن، 1423هـ - 2003م، صفحة ج 3 / 1432، 1433 / 1509).

ومن مجموعة هذه النصوص من كلام سيد قطب نخلص إلى نظريته في الإصلاح الحركي من خلال التّفسير، إلى:

- التحرك العملي الجاد بهذا القرآن لمواجهة الجاهلية المعاصرة؛ كما تحرك به الأوائل في مواجهة الجاهلية الأولى، هو أساس الإصلاح والتّغيير.
- التّزود برصيد من المشاعر والتجارب قبل الدخول في عالم القرآن، واستصحابها وهو يقلب نصوص القرآن ويتلقى إيحاءاته.
- معايشة جو النّص القرآني، واستحضاره بالذّهاب بالحس إلى وقت نزوله في مكة والمدينة؛ لإدراك أثر القرآن ومعايشة نزوله وتذوق معانيه.
- المفتاح الحقيقي لفهم القرآن وفقهه وإدراك مراميه، هو التّحرك به: قولًا وفعلًا وأخلاقًا وحسًا ومعاملة...، وليس مجرد مدارسته والاعتناء بعلومه مع إغفال سمة الواقعية الحركية فيه.
- لا يدرك سر هذا القرآن قاعد، ولا يفتح كنوزه إلا لمن يتحرك به فعلًا، وبه يكون صلاح وإصلاح الحال والمآل.

الخاتمة:

بعد دراستنا لسيد قطب وترجمة حياته والتّعريف بتفسيره في ظلال القرآن، ومن خلال الاطلاع على بعض الدراسات التي تناولنا هذا الكتاب توصلنا إلى:

أولًا: النتائج

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها ما يلي:

1. أثّرت نشأة سيد قطب وتجاربه في جميع مراحل حياته في تكوينه العلمي وأسلوب كتابته ومنهج تأليفه.
2. تطوّر منهج تأليف تفسير في ظلال القرآن مع تطور نضج سيد قطب الفكري والدّيني، حيث جعل له أهدافًا إصلاحية حركية تربوية دعوية.
3. قام منهج الإصلاح الحركي عند سيد قطب على ربط المفاهيم القرآنية بوعي المجتمعات، ليصحلوا أنفسهم ومحيطهم ودنياهم وآخرتهم.
4. حاول سيد قطب من خلال منهج تفسيره أن يجعل النّفوس على استعداد لاستقبال ومعايشة سور وآي القرآ ن الكريم كما أنزل.
5. تفرد منهج سيد قطب عمن سبقه من المفسّرين، حيث كانت تفاسيرهم على اختلافها تثقيفية نظرية بعيدة عن السّمة الإصلاحية الحركية.
6. دعى منهج سيد قطب إلى تطبيق القرآن الكريم في الحياة والتّعامل به تعاملًا جديًا واقعيًا عمليًا، بعيدًا عن الاكتفاء بدراسته دراسة نظرية تغفل واقع وملابسات وسياق نزوله في جميع أحواله.

ثانيًا: التوصيات

وبناءً على النتائج التي خلصت اليها الدراسة فإننا نوصي بما يلي:

1. نوصي الباحثين بالبناء على هذا المنهج الّذي سلكه سيد قطب رحمه الله في تفسيره ، وتحويل هذا المسلك إلى مدرسةٍ تفسيرية جديدة، بعد دراسته وفهم منهجه من خلال استلهام الأسس والضوابط التي سلكها في تفسيره، وجعلها منطلقًا للدّراسات القرآنية.
2. نوصي بالاستفادة من هذا المنهج في المناهج التعليمية، واستصحابه في المحاضن التربوية؛ كي تعيش الأجيال مع القرآن واقعًا عمليًا، وذلك من خلال ربط حياتهم اليومية بجو القرآن.
3. نوصي أصحاب المقاربات والحلول التي توضع لمعالجة الظواهر الاجتماعية، بالاستفادة من هذا المنهج وذلك من خلال، ربط هذه الظواهر بشبيهاتها في زمن نزول الوحي، والنظر إلى كيفية تعامل القرآن معها.
4. نوصي أصحاب الدّراسات القرآنية بالانطلاق في هذه دراساتهم من منطلق روح التجديد الذي قد يظهر لنا فنونًا عجيبة من هذا الكتاب العزيز الذي لا تنقضي عجائبه.

ثالثًا: المقترحات:

1. فتح مشاريع بحث تدرس وتحلّل منهج سيد قطب ونظرياته في مخابر البحث.

المراجع:

أولًا: المراجع العربية:

إسماعيل، محمد بكر. (1991). *ابن جرير الطّبري ومنهجه في التفسير*. دار المنار دون طبعة.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1994). *لسان العرب*. دار صادر دون طبعة.

أبو زيد، وصفي عاشور. (2009). *في ظلال سيد قطب لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري*. صوت القلم العربي الطّبعة 1.

بن حمودة، حسين. (1429ه). *مراحل التّطور الفكري في حياة سيد قطب*. دون مكان طبع: دار الجبهة.

بن زكريا، أحمد بن فارس. (1979). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر الطبعة 1.

حمودة، عادل. (1996). *سيد قطب من القرية إلى المشنقة*. دار الخيال الطّبعة 3.

الخالدي، صلاح عبد الفتّاح. (1994). *سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد*. دار القلم والدّار الشّامية الطبعة 2.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (2000). *المنهج الحركي في ظلال القرآن*. دار عمار الطّبعة 2.

الخالدي، صلاح عبد الفتّاح. (2000). *سيد قطب الأديب النّاقد والدّاعية المجاهد والمفكر المفسّر الرّائد*. دار القلم الطّبعة 1.

الخالدي، صلاح عبد الفتّاح. (2000). *مدخل إلى ظلال القرآن*. دار عمار الطّبعة 2.

الخالدي، صلاح عبد الفتّاح. (2008). *تعريف الّدارسين بمناهج المفسرين*. دار القلم الطّبعة 3 .

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. (1997). *اتّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر*. مؤسسة الرسالة دون طبعة.

زماملیه، حبيبة. (2020). التنزيلات المعاصرة للقصص القرآني عند سيد قطب. *مجلة الإحياء، جامعة باتنة1 الحاج لخضر – الجزائر*، 20 (27)، 139.

سيد قطب. (2003). *في ظلال القرآن*. دار الشرق الطّبعة 32.

سيد قطب. (2003). *في ظلال القرآن*. ت من مكتبة عين الجامعة: https://ebook.univeyes.com/90259/pdf

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي. (2002). *خصائص التصور الإسلامي ومقوماته*. دار الشروق دون طبعة.

محاوي، كريمة. (2012). الصورة الحقيقية والصورة المجازية في القرآن الكريم عند سيد قطب. *مجلة دراسات، مخبر الدّراسات الصّحراوية جامعة بشار – الجزائر*، 1(2)، 79.

مقدم، رشيد. (2019). مشكلات النهضة ومعوقاتها عند سيد قطب. *مجلة أبعاد، مختبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر*، جامعة وهران 2 – الجزائر، 1(5)، 79.

النّيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري. (1998). *صحيح مسلم*. اعتنى به أبو صهيب الكرمي الرّياض – المملكة العربية السّعودية: بيت الأفكار الدّولية دون طبعة.

ثانيًا: رومنة المراجع العربية:

Abn Mnzwr, Mhmd Bn Mkrm. (1994). Lsan Al'erb. Dar Sadr Dwn Tb'eh.

Abw Zyd, Wsfy 'Eashwr. (2009). Fy Zlal Syd Qtb Lmhat Mn Hyath Wa'emalh Wmnhjh Altfsyry. Swt Alqlm Al'erby Altb'eh 1.

Alkhaldy, Slah 'Ebd Alftah. (1994). Syd Qtb Mn Almylad Ela Alastshhad. Dar Alqlm Waldar Alshamyh Altb'eh 2.

Alkhaldy, Slah 'Ebd Alftah. (2000). Almnhj Alhrky Fy Zlal Alqran. Dar 'Emar Altb'eh 2.

Alkhaldy, Slah 'Ebd Alftah. (2000). Mdkhl Ela Zlal Alqran. Dar 'Emar Altb'eh 2.

Alkhaldy, Slah 'Ebd Alftah. (2000). Syd Qtb Aladyb Alnaqd Walda'eyh Almjahd Walmfkr Almfsr Alra'ed. Dar Alqlm Altb'eh 1.

Alkhaldy, Slah 'Ebd Alftah. (2008). T'eryf Aldarsyn Bmnahj Almfsryn. Dar Alqlm Altb'eh 3 .

Alnysabwry, Abw Alhsyn Mslm Bn Alhjaj Alqshyry. (1998). Shyh Mslm. A'etna Bh Abw Shyb Alkrmy Alryad – Almmlkh Al'erbyh Als'ewdyh: Byt Alafkar Aldwlyh Dwn Tb'eh.

Alrwmy, Fhd Bn 'Ebd Alrhmn Bn Slyman. (1997). Atjahat Altfsyr Fy Alqrn Alrab'e 'Eshr. M'essh Alrsalh Dwn Tb'eh.

Bn Hmwdh, Hsyn. (1429h). Mrahl Alttwr Alfkry Fy Hyah Syd Qtb. Dwn Mkan Tb'e: Dar Aljbhh.

Bn Zkrya, Ahmd Bn Fars. (1979). M'ejm Mqayys Allghh. Thqyq: 'Ebd Alslam Mhmd Harwn, Dar Alfkr Altb'eh 1.

Esma'eyl, Mhmd Bkr. (1991). Abn Jryr Altbŕy Wmnhjh Fy Altfsyr. Dar Almnar Dwn Tb'eh.

Hmwdh, 'Eadl. (1996). Syd Qtb Mn Alqryh Ela Almshnqh. Dar Alkhyal Altb'eh 3.

Mhawy, Krymh. (2012). Alswrh Alhqyqyh Walswrh Almjazyh Fy Alqran Alkrym 'End Syd Qtb. Mjlh Drasat, Mkhbr Aldrasat Alshrawyh Jam'eh Bshar – Aljza'er, 1(2), 79.

Mqdm, Rshyd. (2019). Mshklat Alnhdh Wm'ewqatha 'End Syd Qtb. Mjlh Ab'ead, Mkhtbr Alab'ead Alqymyh Llthwlat Alfkryh Walsyasyh Baljza'er, Jam'eh Whran 2 – Aljza'er, 1(5), 79.

Syd Qtb, Ebrahym Hsyn Alshadly. (2002). Khsa'es Altswr Aleslamy Wmqwmath. Dar Alshrwq Dwn Tb'eh.

Syd Qtb. (2003). Fy Zlal Alqran. Dar Alshrq Altb'eh 32.

Syd Qtb. (2003). Fy Zlal Alqran. T Mn Mktbh 'Eyn Aljam'eh: Https://Ebook.Univeyes.Com/90259/Pdf

Zmamlyh, Hbybh. (2020). Altnzylat Alm'easrh Llqss Alqrany 'End Syd Qtb. Mjlh Alehya', Jam'eh Batnh1 Alhaj Lkhdr – Aljza'er, 20 (27), 139.